الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة الثقافة
المكتبة الرئيسية للمطالعة العمومية
بودراي بلقاسم لولاية المسيلة

شهادة مشاركة

يتشرف السيد مدير المكتبة الرئيسية للمطالعة العمومية بودراي بلقاسم لولاية المسيلة والسيد عميد كلية الآداب واللغات جامعة محمد بوضياف المسيلة أن يمنح هذه الشهادة للأستاذ:

"بوراس سليمان "

نظير مشاركته (ها) بمداخلة بعنوان: "الشعر : مفهومه وقضاياه عند ابن رشيق" في الملتقى الوطني الأول " أبوعلي حسن ابن رشيق المسيلي" تحت شعار"من أجل نهضة فكرية و أدبية رائدة "

يومي 13 ، 14 نوفمبر2016.

عميد كلية الآداب و اللغات

المدير

ملخص

تنوعت فهوم النقاد للشعر ، وكل قدم فهمه الذي يراه مناسبا لهذه المادة ، وكل يحترم رأيه وقد قدم ابن رشيق المسيلي رأيا في مفهوم الشعر و في تحديد قضاياه كان أكثر دقة مما قدمه غيره ولعل أهم نقطة قدمها في تعريفه للشعر إدراجه النية في كون الشعر شعرا ، إذ لا يكون الشعر شعرا إلا إذا كان القصد والنية ،وبهذا ينزه ما جاء موزونا من القرآن الكريم عن الوصف بالشعرية ، كما حدد قضاياه التي يتناولها والتي يتقاطع فيها مع كثير من النقاد ، ونحن في هذه المداخلة نود أن نتوقف خصوصا عند هاتين النقطتين ، خاصة الأولى منهما و نميز بين الكلام الذي صادف الوزن والشعر من خلال تعريف ابن رشيق ، و ننزه القرآن الكريم عن الوصف بالشعرية ، ونبين مدى إسهام ابن رشيق المسيلي في تحديد المفاهيم النقدية .

المداخلة

أولا :

من هو ابن رشيق ؟

أبو علي الحسن بن رشيق المسيلي، ولد في نهايات القرن الرابع الهجري في مدينة (المحمدية) المسيلة حاليا سنة 390 هـ الموافق لـ 999 م و توفي رحمه الله غرَّة ذي القعدة سنة 456هـ الموافق لـ 1064 م [1] عن ست وستين سنة ، وكان ذا ميول أدبية فاتجه إلى القراءة، ورغب في الاستزادة من علوم اللغة والأدب، ثم رحل إلى القيروان ولما يبلغ السابعة عشرة، واتصل ثمة بالمعز بن باديس وابنه تميم وأهل العلم والأدب فاشتهر أمره ونبه ذكره.

1 ينظر ابن رشيق العمدة في محاسن الشعر و آدابه ونقده ، تح محي الدين عبد الحميد ج 1 ، ص 3 الطبعة الخامسة دار الجيل

أساتذته :من أساتذته الذين تعلم على أيديهم خصوصا : من أساتذته القزاز النحوي صاحب (الضرائر الشعرية)[1] ،و عبد الكريم النهشلي صاحب (الممتع في علم الشعر وعمله)[2] .

مؤلفاته:من مؤلفاته الكثيرة ما يلي :

1 العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده

2 قراضة الذهب في نقد أشعار العرب ،وهو بمثابة الذيل للعمدة وقد صنّفه للرد على ابن شرف الذي اتهمه بالسطو على آراء أستاذه عبد الكريم النهشلي

3 أنموذج الزمان في شعراء القيروان ، ترجم فيه ترجمة مفصّلة لشعراء القيروان في عصره

4 الشذوذ في اللغة.

جهوده النقدية:

ألف ابن رشيق كتاب (**العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده**) ما بين سنة 412 و425 هـ وأهداه لأبي الحسن ابن أبي الرجال الشيباني مربي المعز بن باديس ورئيس ديوان كتّابه الذين كان منهم ابن رشيق [3]،وهو واحد من أهم المنجزات النقدية العربية قديمًا، ولقد أحدث العمدة نُقلة نوعية في الجهود النقدية العربية؛ ذلك أن المؤلف اطلع على دواوين العرب واستوعبها، وألمَّ بما صنّف قبله من بحوث في اللغة والأدب والنقد والبلاغة قال عنه ابن خلكان صاحب الوفيات: وقد وقفت على هذه المصنفات والرسائل فوجدتها تدل على تبحره في الأدب واطلاعه على كلام الناس ونقله لمواد هذا الفن، وتبحره في النقد وله كتاب في شذوذ اللغة يذكر فيه كل كلمة جاءت شاذة في بابها .

و "العمدة" فهو الكتاب الذي خلد اسم صاحبه وشهره من بين آثاره، وقد أراد له أن يكون موسوعة في الشعر ومحاسنه ولغته وعلومه ونقده وأغراضه، والبلاغة وفنونها، وما لابد للأديب من معرفته من أصول علم الأنساب، وأيام العرب، وملوكها وخيولها وبلدانها، وفيه 59 باباً في فصول الشعر وأبوابه، و39 باباً في البلاغة وعلومها و9 أبواب في فنون شتى

1 ينظر ينظر ابن رشيق العمدة في محاسن الشعر و آدابه ونقده ، تحقيق محي الدين عبد الحميد ج 1 ، ص 14

2 ينظر ابن رشيق العمدة في محاسن الشعر و آدابه ونقده ، تحقيق محي الدين عبد الحميد ج 1 ، ص 14

3 ينظر ابن رشيق العمدة في محاسن الشعر و آدابه ونقده ، تحقيق محي الدين عبد الحميد ج 1 ، ص 3

ثانيا : الشعر وحدُّه عند ابن رشيق :

وجود شعراء في الجزيرة العربية قبل نشوء الإسلام أمر يشهد به القرآن الذي يتضمن سورة باسمهم[1] ، و الصورة التي نرى عليها الشعر العربي اليوم والتي ترجع إلى العصر الجاهلي ليست إلا ذلك الشعر الذي وصل إلى درجة الكمال الفني، أما البدايات الأولى التي هي طفولة الشعر العربي فليس لدينا إلا القليل الذي يتحدث عنها [2]،و من صور التغني في البيئة العربية القديمة:

الحداء إذ المعروف أن البيئة العربية بيئة انتجاع وتنقل، فقد كان العربي يتتبع إبله وأغنامه إلى حيث يجد لها المأكل والمشرب، وكان إذا تنقل كانت إبله حاملته في طريقه وحاملة متاعه، وكان إذا مشى مل الطريق وملت إبله، فكان يتغنى لها لتحدو حدوه ولتسير على نغمه، ومن ذلك جاء مصطلح الحادي، ويقال إن أول من حدا الإبل رجل عربي قديم ضربه أخوه، وقيل ضربه سيده على يده والإبل تمشى وقيل سقط من على جمله فصاح قائلا: وا يداه فتوقفت الإبل فتفطن الرجلان إلى تذوق الإبل للنغم واستفاد العربي من ذلك حتى صار عندهم ما سموه حدوا، وجاء في بعض الروايات أن الذي سنه مضر بن نزار بن معد، والأصل فيه التدوية والدواهة.

كما عرفوا النصب: والنصب شكل إيقاعي من أشكال التغني ومن اسمه يبدو معناه فهو من النَّصَبِ والنصبُ التعب، ومنه قول النابغة (طويل):

كليني لهم يا أميمة ناصب وليل أقاسيه بطيء الكواكب

فالظاهر أن النصب نوع من الغناء يستعمل إذا تعب العربي من مساره، وأحس طول الطريق ومشقتها، وبعد عليه الوصول، فلا يجد له من أنيس ولا رفيق سوى حنجرته التي يصدح بها وينفس عن متاعب لاحقة له، ولا يجد له من مستمع سوى ناقته التي تشاركه المسرات والأحزان[3]

و عرفوا الركبانية و هو نوع من التغني عرفه العرب متعاملين مع واقعهم ومتفاعلين مع الصعوبة التي يعيشونها، فهم بحكم اتساع الصحراء ما كان الواحد منهم ليسافر السفر الطويل وحده ،بل كانوا

1 . مرجليوث (ديفيد صمويل) ، أصول الشعر العربي، ترجمة إبراهيم عوض، دار الفردوس طبعة 2006، ص 09.

2 . عبد الرحمان الوجي، الإيقاع في الشعر العربي، دار الحصاد للنشر والتوزيع الطبعة الأولى 1989 دمشق سوريا، ص 10.

3 . عبد الرحمان الوجي، الإيقاع في الشعر العربي ، ص 18.

يسيرون جماعات وذلك ما يسمونه ركبا، فحينما يسيرون يتسمَّعون أخفاف الإبل ويتفاعلون معها ويتغنون ويتلذذون ،وهم في طريقهم سائرون[1].

التهليل وهو نوع من الغناء كان العرب يتغنون به وهم يطوفون، ومن تهاليلهم قولهم : لبيك اللهم لبيك ،لبيك لا شريك لك لبيك ،إن الحمد والنعمة لك والملك ،لا شريك لك.

التغبير وهو غناء يترافق فيه الصوت والرقص والآلات الموسيقية مع عمد المغني إلى تعفير وجهه ورمي ثيابه بالتراب كنوع من إظهار الفرح.

الرجز و الرجز في أصله مرض يصيب الإبل فترتعش أفخاذها ،والرجز شعر عربي معروف من بحور الخليل وتسمى القصيدة منه أرجوزة، وسمي هذا الشعر رجزا لأنه تكثر فيه الحركة والسكون حتى كأنما الشاعر يرتجف، وهو نمط من الشعر كثير عند العرب لسهولته بل نظم عليه العرب كثيرا من متونهم العلمية خاصة في الأعصر المتأخرة، ومن أشهر من ارتجز عند العرب رؤبة بن العجاج وعنترة بن شداد، ومن أشهر الأراجيز العلمية أرجوزة ابن مالك الألفية وألفية ابن معطي الزواواي في النحو.

و لكي نعرف بماذا تميز ابن رشيق عن غيره في تحديد الشعر نورد تحديد بعض العلماء للشعر ليتبين لنا ذلك

1– مفهوم الشعر عند الجاحظ – 255 هجرية :

ألمّ الجاحظ بفكرة الشعر وماهيته حين عرض لاستحسان أبي عمرو الشيباني بيتين من الشعر لأحدهم، وهما:

لا تحسبن الموت موت البلى فإنما المـوت سؤال الرجال

كلاهما مـــــوت ولكن ذا أفظع من ذاك لذل السؤال

فالجاحظ أنكر هذا الاستحسان من أبي عمرو، وبيّن أن ليس في البيتين أثارة من شعر، وليس قائلهما بشاعر فقال : وأنا رأيت أبا عمرو الشيباني، وقد بلغ من استجادته لهذين البيتين في المسجد

1 . عبد الرحمان الوجي، الإيقاع في الشعر العربي ص 20

يوم الجمعة، أن كلّف رجلاً حتى أحضر دواة وقرطاساً حتى كتبهما له وأنا أزعم أن صاحب هذين البيتين لا يقول شعراً أبداً ولولا أن أدخل في الحكم بعض الفتك لزعمت أن ابنه لا يقول شعراً أبداً [1]

فالجاحظ لا يرى المعنى الحكيم وحده شعراً، فإن المعاني الحكيمة والمواعظ الدالة حظٌّ متاح للجميع، أيّاً كانت أعراقهم وبلدانهم ، و يضيف الجاحظ :وذهب الشيخ إلى استحسان المعنى، والمعاني مطروحة في الطريق، يعرفها العجمي والعربي، والبدوي والقروي والمدني، وإنما الشأن في إقامة الوزن، وتخير اللفظ، وسهولة المخرج، وكثرة الماء، وفي صحة الطبع وجودة السبك، فإنما الشعر صناعة، وضرب من النسيج، وجنس من التصوير .

فهو كان يحس أن المعنى موجود في كل مكان، وما على الشاعر إلا أن يتناوله ويصوغه صياغة منفردة. ولم يكن الجاحظ يتصور أن نظريته التي لم تكن تمثل خطراً عليه ستصبح في أيدي رجال البيان خطراً على المقاييس البلاغية والنقدية لأنها ستجعل العناية بالشكل شغلهم الشاغل.

عند الشعر ابن قتيبة – 276 هجرية:

أما ابن قتيبة في مقدمة كتابه الشعر والشعراء فقد أودعه الأخبار عن جلالة قدر الشعر وعظيم خطره وعما أودعته العرب من الأخبار النافعة، والأنساب الصحاح، والحكم المضارعة لحكم الفلاسفة، والعلوم في الخيل، والنجوم وأنوائها والاهتداء بها، والرياح وما كان منها مبشّراً أو جائلاً والبروق وما كان منها خُلّباً أو صادقاً، والسحاب وما كان منها جهاماً أو ماطراً، وعما يبعث منه البخيل على السماح، والجبان على اللقاء، والدنيّ على السمو[2].

فقد عرض ابن قتيبة في كتابه لأمر عرفه النقد العربي قبل عصره بزمان؛ وهو أن الشعر في تصور العرب مصدر رئيسي من مصادر المعرفة الموثوقة؛ فقد قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب– رضي الله عنه– قولته المشهورة :كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه.

وهو في كتابه الشعر والشعراء لم يتجه إلى تعريف الشعر كمصطلح نقدي كما فعل الجاحظ لكنه وضح مكوناته وعناصره وأقسامه وأضربه، معتبراً النقد كالعلم، له قيوده وقواعده العامة.

1 الجاحظ: الحيوان ج3 ، القاهرة 1323 هـ ، ص41 .

2 ابن قتيبة أدب الشعر والشعراء تحقيق أحمد محمد شاكر ج 1 ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، ص 63

و ابن قتيبة يجعل الشعر أربعة أضرب من جهة توافر الجودة في معناه ولفظه وهي:

1 – ضرب منه حسن لفظه وجاد معناه، كقول أوس بن حجر[1]:

أيتها النفس أجملي جزعا إن الذي تحذرين قد وقعا

2 – ضرب منه حسن لفظه وحلا، فإذا أنت فتشته لم تجد هنا فائدة في المعنى، كقول القائل[2]:

ولما قضينا من منى كل حاجة ومسّح بالأركان من هو ماسح

وشدت على حدب المهاري رحالنا ولا ينظر الغادي الذي هو رائح

أخذنا بأطراف الحديث بيننا وسالت بأعناق المطي الأباطح

3 – ضرب منه جاد معناه، وقصرت ألفاظه عنه، كقول لبيد بن ربيعة[3]:

ما عاتب المرء الكريم كنفسه والمرء يصلحه الجليس الصالح

4 – وضرب منه تأخر معناه وتأخر لفظه، كقول الأعشى[4]:

وقد غدوت إلى الحانوت يتبعني شاوٍ مشلٌّ شلولٌ شلشلٌ شولُ

ابن طباطبا وعيار الشعر – 322 هجرية:

يعرف ابن طباطبا الشعر في كتابه «عيار الشعر» بقوله: «الشعر كلام منظوم، بائن عن المنثور الذي يستعمله الناس في مخاطباتهم، بما خص به من النظم الذي إن عدل عن جهته مجّته الأسماع وفسد على الذوق ونظمه معلوم محدود، فمن صح طبعه وذوقه لم يحتج إلى الاستعانة على نظم الشعر بالعروض التي هي ميزانه، ومن اضطرب عليه الذوق لم يستغن من تصحيحه وتقويمه بمعرفة العروض والحذق به، حتى تعتبر معرفته المستفادة كالطبع الذي لا تكلف معه».

1 ابن قتيبة أدب الشعر والشعراء ، ص 65

2 ابن قتيبة أدب الشعر والشعراء ، ص 66

3 ابن قتيبة أدب الشعر والشعراء ، ص 68

4 ابن قتيبة أدب الشعر والشعراء ، ص 69

الشعر عند قدامة بن جعفر – 337 هجرية:

أراد قدامة بن جعفر أن يسد خللاً في حركة التأليف حول فن الشعر عند سابقيه، ذلك أن العلم بالشعر، في ما يراه انقسم أقساماً خمسة، هي:

1 – علم عروضه ووزنه.

2 – علم قوافيه ومقاطعه.

3 – علم غريبه ولغته.

4 – علم معانيه والمقصد به.

5 – علم جيده من رديئه. وأن الناس ألفوا في أربعة الأقسام الأولى، لكنهم لم يضعوا كتاباً في نقد الشعر، وتخليص جيده من رديئه.

عمدة الشعر عند ابن رشيق القيرواني – 456 هجرية:

يبدأ ابن رشيق القيرواني كتابه «العمدة» بباب في فضل الشعر، بعد أن قسم كلام العرب إلى نوعين: منظوم ومنثور، ثم يبدأ المفاضلة بينهما. ويظهر جلياً أنه من أنصار الشعر[1].

يقول:وكان الكلام كله منثوراً فاحتاجت العرب إلى الغناء بمكارم أخلاقها، وطيب أعراقها، وذكر أيامها الصالحة، وأوطانها النازحة، وفرسانها الأنجاد، وسمحائها الأجواد، لتهز أنفسها إلى الكرم، وتدل أبناءها على حسن الشيم، فتوهموا أعاريض جعلوها موازين الكلام، فلما تم لهم وزنه، سموه شعراً. لأنهم قد شعروا به – أي فطنو[2].

وقد وضّح في باب آخر حدّ الشعر وبنيته، فقال: الشعر يقوم من بعد النية من أربعة أشياء، وهي : اللفظ والمعنى والوزن والقافية؛ فهذا هو حدُّ الشعر لأن من الكلام موزوناً مقفّى، وليس بشعر، لعدم القصد والنيّة، كأشياء اتزنت من القرآن ومن كلام النبي صلى الله عليه وسلم، وغير ذلك مما لم يطلق عليه بأنه شعر.والمتزن: ما عرض على الوزن فقبله، فكأن الفعل صار له[3].

1 ابن رشيق العمدة في محاسن الشعر و آدابه ونقده ، تحقيق محي الدين عبد الحميد ج 1 ، ص 19

2 ابن رشيق العمدة في محاسن الشعر و آدابه ونقده ، تحقيق محي الدين عبد الحميد ج 1 ، ص 20

3 ابن رشيق العمدة في محاسن الشعر و آدابه ونقده ، تحقيق محي الدين عبد الحميد ج 1 ، ص 119

نلاحظ مما سبق أن ابن رشيق قد اتفق مع قدامة بن جعفر في وضع حدّ للشعر، وهو: اللفظ، والوزن، والقافية، والمعنى. وقد أضاف ابن رشيق إلى ذلك شرط النية، وذلك بأن يقصد الشاعر بكلامه هذا قول الشعر وقصده.

ثم نراه يقسم الشعر إلى أربعة أقسام، هي: المدح والهجاء والنسيب والرثاء، ويذكر آراء العلماء في تقسيم أغراض الشعر[1].

فمنهم من قسمه إلى: الرغبة والرهبة والطرب والغضب. أما الرماني فقد قسمه إلى خمسة أغراض، هي: النسيب والمديح والهجاء والفخر والوصف.

أما عبد الكريم النهشلي فيقسم الشعر إلى أربعة أقسام: المديح والهجاء والحكمة واللهو، ثم تتفرع من كل صنف فنون أخرى.

تكامل المفهوم عند حازم القرطاجنّي – 684 هجرية:

يقول حازم في تعريف الشعر:الشعر كلام موزون مقفى من شأنه أن يحبب إلى النفس ما قصد تحبيبه إليها، ويكره إليها ما قصد تكريهه؛ لتحمل بذلك على طلبه أو الهرب منه، بما يتضمن من حسن تخييل، ومحاكاة مستقلة بنفسها أو متصورة بحسن هيئة تأليف الكلام، أو صدقه أو قوة شهرته، أو بمجموع ذلك. وكل ذلك يتأكد بما يقترن به من إغراب؛ فإن الاستغراب والتعجب حركة للنفس إذا اقترنت بحركتها الخيالية قوي انفعالها وتأثرها .

الشعر والقرآن من خلال رأي ابن رشيق .

جاء القرآن الكريم ليبهر العرب وليبين لهم أن البلاغة التي عندهم لا يمكن أن تتجاوز القرآن ، والقرآن الكريم كلام الله المعجز المنزل على رسوله صلى الله عليه وسلم، وهو الكتاب الذي لا تنقضي عجائبه، وفي كل ناحية من نواحيه جانب من الإعجاز، فأخبار الغيب فيه وجه من وجوه الإعجاز، وعدم اضطرابه في الحديث الذي جاء فيه وجه آخر، وغير هذين وجوه كثيرة .

1 ينظر ابن رشيق العمدة في محاسن الشعر و آدابه ونقده ، تحقيق محي الدين عبد الحميد ج 1 ، ص 120

ولعل هذه المعطيات هي التي بهرت عقول أرباب الفصاحة والبلاغة الأولين منذ بداية نزول الوحي حتى إنهم كانوا يسترقون السمع، ويتسمعون من وراء الجدار إلى القرآن الكريم رافعين رايات العجز مقرين بأن هذا الذي جاء به محمد ليس شعرا، ولا هو بقول الكهان ولا هو بسجعهم وإنما هو قرآن؛ فهذا الوليد بن المغيرة أحد سادة قريش وأحد المعروفين فيها بفصاحة لسانهم وهو المعروف أيضا بمعرفته بالشعر وضروبه، يقول بعد أن عاتبه أبو جهل كلاما جميلا يبين انبهاره بالقرآن، والقصة كما يلي:

"عن ابن عباس أن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقرأ عليه القرآن فكأنه رق له، فبلغ ذلك أبا جهل فأتاه فقال له يا عم إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالا ليعطوكه فإنك أتيت محمدا لتتعرض لما قِبَلَه، قال لقد علمت قريش أني من أكثرها مالا قال فقل فيه قولا يبلغ قريش أنك منكر له وكاره، قال وماذا أقول؟ فو الله ما منكم أحد أعلم بالشعر مني لا برجزه ولا بقصيده ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الذي يقوله شيئا من هذا، ووالله إن لقوله الذي يقول لحلاوة، وإن عليه لطلاوة وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق وإنه يعلو ولا يعلى عليه وإنه ليحطم ما تحته، قال والله لا يرضى قومك حتى تقول فيه، قال فدعني أفكر، فلما فكر قال هذا سحر يوثر"[1].

و روى مسلم في صحيحه (أن أُنَيساً أخا أبي ذر قال لأبي ذر: لقيتُ رجلاً بمكة على دينك، يزعُمُ أن الله أرسله، قلتُ: فما يقول الناس، قال: يقولون شاعر، كاهن، ساحر . وكان أنيس أحد الشعراء . قال أنيس: لقد سمعت قول الكهنة فما هو بقولهم، ولقد وضعت قوله على أقراء الشعر فلم يلتئم على لسان أحد بعدي أنه شعر، والله إنه لصادق وإنهم لكاذبون).

و حدثوا أن عمر بن الخطاب خرج ذات مساء متوشحاً سيفه يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم ورهطاً من أصحابه، في بيت عند " الصفا " سمع أنهم مجتمعون فيه، فلقيه في الطريق من سأله: . أين تريد يا عمر؟

أجاب: أريد محمداً هذا الصابئ الذي فرق أمر قريش وسفه أحلامها وعاب دينها وسب آلهتها، فأقتله.

1 . انظر الزرقاني ،مناهل العرفان ،ج 2 ،ص 254، مناع القطان ،مباحث في علوم القرآن ،ص 259

قال له صاحبه:

. غرتك نفسك يا عمر! أترى بني عبد مناف تاركيك تمشي على الأرض وقد قتلت محمداً؟ أفلا ترجع إلى أهل بيتك فتقيم أمرهم؟

سأله عمر، وقد رابه ما سمع:

. أي أهل بيتي تعني؟

فأخبره أن صهره وابن عمه "سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل "قد أسلم.

وكذلك أسلمت زوجته، أخت عمر "فاطمة بنت الخطاب".

فأخذ "عمر" طريقه إلى بيت صهره مستثار الغضب، يريد أن يقتله ويقتل زوجته فاطمة. فما كاد يدنو من الباب حتى سمع تلاوة خافتة لآيات من سورة طه، فدخل يلح طلب الصحيفة التي لمح أخته تخفيها عند دخوله...

وانطلق من فوره إلى البيت الذي اجتمع فيه المصطفى بأصحابه، فبايعه، وأعز الله الإسلام بعمر، وقد كان من أشد قريش عداوة للإسلام وحرباً للرسول[1].

وهذه الآثار تقر أن القرآن قرآن وليس شعرا، ومع ذلك فإننا نقرأ القرآن فنجد أن الشعر يتقاطع مع القرآن ولكن ذلك لن يجعل القرآن شعرا لأنه لم يقصد به ذلك والشعر هو الكلام الموزون المقفى بالقصد[2]، فإذا لم يكن القصد والنية لم يكن ذلك المقول شعرا [3]، ومن ذلك الآياتُ القرآنية الكريمة التالية.

قوله تعالى: ﴿**لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ**﴾ (آل عمران 92)، وهذا النص القرآني وافقه الوزن العروضي المسمى مجزوء الرمل المسبغ الذي حذفت عروضه وضربه الأصلية وأسبغ ضربه .

1 انظر ابن الأثير، الكامل، ج 1، تحقيق أبي الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية،الطبعة الأولى 1987 بيروت لبنان، ص 603

2 محمود علي السمان ، العروض القديم ،ص 10

3 ابن رشيق، العمدة ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ج1 ، دار الجيل ،الطبعة الخامسة 1981،بيروت لبنان، ص 119

و قوله تعالى: ﴿**وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ**﴾(التوبة 14) ، وهذا النص القرآني وافقه الوزن العروضي المسمى الوافر.

و قوله تعالى: ﴿**فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ**﴾(الكهف 29) ، وهذا النص القرآني وافقه الوزن العروضي المسمى الهزج.

و قوله تعالى: ﴿**وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ**﴾ (سبأ 13)، وهذا النص القرآني وافقه الوزن العروضي المسمى مجزوء الرمل.

و قوله تعالى: ﴿**وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا**﴾(الإنسان 14) ، وهذا النص القرآني وافقه الوزن العروضي المسمى الرجز.

و قوله تعالى: ﴿ **وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاء إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ** ﴾(البقرة 213) يشبه الكامل.

و قوله تعالى: ﴿ **فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا** ﴾(يوسف 93) يشبه الهزج.

و قوله تعالى: ﴿ **نَبِّئْ عِبَادِيَ أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ** ﴾(الحجر 49) يشبه المجتث.

وفي السنة ورد ما يشبه الرجز، نحو: (أَنَا النَّبِيُّ لا كَذِبْ أَنَا ابْنُ عَبْدِ المُطَّلِبْ)،

و(هَلْ أَنْتَ إِلاّ إِصْبَعٌ دَمِيتَ، وَ فِي سَبِيلِ اللهِ مَا لَقِيتِ).

ولذلك قال ابن رشيق: (كل ما كان من هذا النحو إنما يقال فيه متّزن لا موزون) والمعنى: أنه عُرض على الوزن فاتَّزَن

و كل هذا لا يبيح لنا أن نقول إن هذه الآيات شعر، فالقرآن الكريم ليس شعرا بل هو قرآن أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير، ولعل ورود هذه التقاطعات مع النسق العروضي يوحي إلى القارئ للشعر وللقرآن أن القرآن الكريم ليس شعرا مع قدرة قائله على نظم الشعر، فكان هذا النمط الفني الخارق المعجز المسمى قرآنا.

قضايا الشعر عند ابن رشيق :

القضية الأولى: **قضية الطبع والصنعة والتكلف:**

الكلام الجيد الطبع مقبول في السمع قريب المثال بعيد المنال أنيق الديباجة رقيق الزجاجة يدنو من فهم سامعه كدنوه من وهم صانعه ، أما الشعر المصنوع فهو مشقق الكعوب ، معتدل الأنبوب يطرد ماء البديع على خبانه و يروق رونق الحسن في صفحاته كما يحول المسرف الطرف الكحيل و الأمر في السيق الصقيل و محل الصانع شعره على الإكراه في التعمل وتنقيح المباني دون إصلاح المعاني يعفى أثار صنعه و يطفئ أنوار صنيعته و يخرجه إلى سناء التعسف و قبح التكلف وتنفثه و وساوسه من غير اعجال النظر و تدقيق الفكر مخرجه إلى حد المشهر الرث و حيز الغث و أحسن ما اجري إليه و أعول عليه التوسط بين الحالين و المنزلة بين المنزلتين من الطبع و الصنعة .

القضية الثانية **السرقات الأدبية**

قال ابن رشيق القيرواني : قال عبد الكريم النهشلي :

قالوا السرق في الشعر ما نقل معناه دون لفظه وأجيد في أخذه على أن من الناس من تعبد ذهنه إلا عن بيت امرئ القيس و طرفه حين لم يختلفا إلا في القافية فقال : أحدهما و تحمل و قال الآخر و تجلد و منهم من يحتاج إلى دليل من اللفظ مع المعنى و يكون الغامض عندهم بمنزلة الظاهر و هم قليل [1]

و السرق أيضا إنما فهو في البديع المخترع الذي يختص به الشاعر لا في المعاني المشتركة أين هي جارية في عاداتهم و مستعملة في أمثالهم و محاوراتهم مما يتفرع فيه الطيبة عن الذي ورده أن يقال أنه أخذه من غيره [2].

قال و إتكال الشاعر على السرقة بلادة وعجز و تركه كل معنى سبق إليه جهل و لكن المختار عندي أوسط الحالات[3] .

القضية الثالثة **شروط الوحدة العضوية :**

1 ابن رشيق العمدة في محاسن الشعر و آدابه ونقده ، تحقيق محي الدين عبد الحميد ج 2، ص 281

2 ابن رشيق العمدة في محاسن الشعر و آدابه ونقده ، تحقيق محي الدين عبد الحميد ج 2، ص 281

3 ابن رشيق العمدة في محاسن الشعر و آدابه ونقده ، تحقيق محي الدين عبد الحميد ج 2، ص 281

هي أن يكون النص نسيجا مترابطا الأجزاء بحيث لا يعكس مطلقا التقديم والتأخير بين أفكاره و إلا فسد جميعا و هذا ما ألح عليه المجددون من أدبائنا و نقادنا في العصر الحديث و تتحقق هذه الوحدة العضوية بتوفر ثلاث شروط ، وحدة الموضوع ، وحدة المشاعر التي يثيرها الموضوع و تركيب الأفكار و الصور في ظل العنصرين السابقين . بحيث تؤدي كل فكرة أو صورة وظيفتها الحيوية في بناء التجربة و بحيث تساعد على نمو العمل الفني و اكتماله فيها وقد وضح العقاد بقوله : يعني أن تكون القصيدة عملا فنيا تاما يكتمل فيها تصوير خاطر أو خواطر متجانسة كما كمل التمثال بأعضائه والصورة بأجزائها و اللحن الموسيقي بأنغامه ، بحيث إذا اختلف الوضع أو تغيرت النسبة أخل ذلك بوحدة الصنعة و أفسدها .

فالقصيدة الشعرية كالجسم الحي يقوم كل قسم منها مقام جهاز من أجهزته.

و لو طبقت على ذلك كثير من النصوص و المسرحيات و القصائد الحديثة لوجدت هذه الوحدة العضوية قائمة بشروطها الثلاث المذكورة آنفا و لو قاربتا لبعض و قصائد أدبنا القديم أو موضوعاته النثرية لوجدت الفرق عظيما ، فقد تجد هناك الوحدة الموضوعية فقط لكنك تجد كثيرا من الإضافات و الصور التي لا علاقة لها بالموضوع الأصلي بحيث فسر الشاعر غربته عنه.

و قد يكون موضوع القصيدة الأصلي المدح لكن الشاعر يمزجه بالغزل و بذلك تمزق مشاعر القارئ هنا و هناك نتيجة فقدان الوحدة العضوية

القضية الرابعة **الشعر والشعراء:**

لقد عرض ابن رشيق القيرواني فضل الشعر و مزاياه وما يتعلق به من قضايا عديدة و متنوعة فالشعراء عنده أربع طبقات جاهلي، قديم ومخضرم إسلامي و محدثون ثم قيل المحدثين طبقات أولى وثانية وثالثة.

يفهم من خلال تصنيفه هذا بان الشعراء الجاهليين مقدمون على غيرهم ثم يأتي بعدهم منزلة المخضرمين ثم الإسلاميين ثم المحدثون، لكن المحدثين أنفسهم طبقات فالطبقة الأولى مقدمة على الثانية و الثانية على الثالثة. و أن المحدث الأول – فضلا عن دونه – دونهم في المنزلة وبذلك يكون ابن رشيق واحدا من السلفيين الذين يقولون بأولية القديم وتفضيل عما سوا ه ويتساءل قائلا . من

هذا الشاعر الفحل ؟ فالشاعر مازال مستواه غير معروف حتى يقول شعرا وعندها يتضح أمره و تعرف قيمته و مكانته و درجته. فالشاعر الحقيقي عند ابن رشيق الذي يشعر بما لا يشعر به غيره من الناس فهو إذا يختلف عنهم و يتميز بخصائص ليست بينهم ومن هنا كان عمل الشعر في رأيه قيل.

قيل عمل الشعر على الحاذق به اشد من شعر الصحر ويقال . الشعر كالحر اهزل ما يكون على الجاهل أهون ما يكون على العالم والغيث أصحابه من عرف حق معرفته وأهل صناعة الشعر أبصر به.

الشعر الحق هو الذي تقدر درجته و طبيعته لقول الشعر حتى ينطلق من أرضية صلبة و متينة هي زاده من الثقافة و الخبرات و المعارف و التجارب لان الشاعر القوي هو الشاعر المثقف الذي يأخذ من كل شيء يعرف و يتعمق في موضوعاته التي تعالجها قصائده ومطبوع

مراجع للعمل :

1. القرآن الكريم برواية ورش عن نافع
2. ابن رشيق العمدة في محاسن الشعر و آدابه ونقده ، تحقيق محي الدين عبد الحميد الطبعة الخامسة دار الجيل
3. مرجليوث (ديفيد صمويل) ، أصول الشعر العربي، ترجمة إبراهيم عوض، دار الفردوس طبعة 2006
4. عبد الرحمان الوجي، الإيقاع في الشعر العربي، دار الحصاد للنشر والتوزيع الطبعة الأولى 1989 دمشق سوريا
5. الجاحظ: الحيوان ، القاهرة 1323 ه
6. ابن قتيبة أدب الشعر والشعراء تحقيق أحمد محمد شاكر ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر
7. الزرقاني ،مناهل العرفان
8. مناع القطان ، مباحث في علوم القرآن
9. ابن الأثير، الكامل، تحقيق أبي الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية،الطبعة الأولى 1987 بيروت لبنان
10. محمود علي السمان ، العروض القديم،دار المعارف الطبعة الثانية 1986،مصر العربية